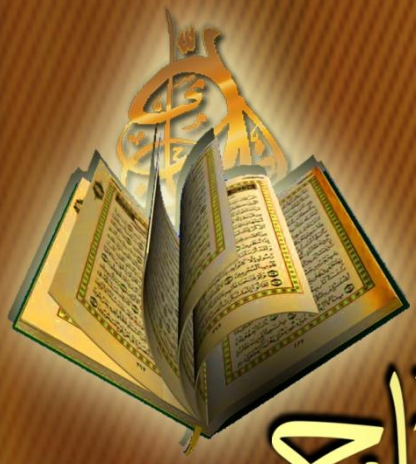

سلسلة

مقالات

من صميم المنهاج

للشيخ أبي حفص سفيان الجزائري حفظه الله

2

تقرأون

- أساس الوحدة الشرعية .
- حتى ترجعوا إلى دينكم .
- يَاأهل غزة ؛ لاحل إلا بالجهاد .
- فاجعة مسجد ابن تيمية .

سلسلة الكتاب الإسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

أساس الوحدة الشرعية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله أنّ العاقبة للمتّقين ، و أن لا عدوان إلاّ على الظّالمين .

و بعد : يرفع كثير من الجهات كلّ مرّة في كثير من البلدان شعار الوحدة الفاقدة للمصداقية في غالب الأحيان حيث تفقد الأرضية الّتي تقوم عليها ، و ذلك لأنّه لا يُراد من هذا الشعار البرّاق عند كثير من هؤلاء إلاّ خدمة لأجندات معيّنة ، إمّا أجندة أنظمة مستبدّة لتبقى في إستبدادها على الشعوب المسلمة، أو أجندة الإحتلال الغاشم حتّى يُظهروا أنّ الأعداء ما إحتلّوا أرضنا إلاّ خدمة لشعوبنا ، و إمّا أجندات أحزاب و هيئات لاستحقاقات انتخابية ضيّقة أو اللّعب على عواطف الشعوب من أجل إستقطابهم .

أمّا الإسلام فلمّا حثّ على الوحدة جاء به كمشروع يخدم الأمّة ، يقوم على أساس معلوم ليس بمبهم و هو الشريعة الكاملة الّتي رضيها الله لهذه الأمّة نعمة منه سبحانه عليهم ، قال تعالى : ﴿ **ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾** ﴾ [المائدة: ٣].

و لبيان هذا الإجمال أقول مستعينا بالله الرحمن :

قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾** ﴾[الأنبياء: ٩٢] ، هذه الآية الكريمة جاءت بعد ذكر قصص جملة من الأنبياء ، فأوضح الله سبحانه أنّ هؤلاء الرسل و الأنبياء المذكورين هم أمّتكم و أئمّتكم الّذين بهم تأتمّون ، و بهديهم تقتدون ، فكانوا كلّهم على دين واحد ، يعبدون ربّا واحدا ، و لهذا قال : ﴿ **وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ** ﴾ ، فكان اللائق الإجتماع على هذا الأمر و عدم التفرق فيه ، لكن أبى النّاس إلاّ التفرق و التشتت ، و على هذا قال سبحانه :

﴿ **وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾** ﴾ [الأنبياء: ٩٣].

فقوله : ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ﴾ ، أي تفرّقوا و تحزّبوا ، كما قال تعالى من سورة المؤمنون : ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣﴾[المؤمنون: ٥٣] ، و قوله : ﴿كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ﴾أي كلّ الفرق راجعة إلى الله يوم القيامة فيُجازيهم بما كسبوا .

فالإسلام دين موحّد للبشرية أنزله الخالق و هو أعلم بما يُصلح الخلق ليكون أي هذا الدّين رحمة للنّاس كافّة ، إذ هو قائم على أداء الحقوق لمستحقّيها و أعظم هذه الحقوق هي عبادة الله و الخضوع لشرعه ، فهذه العبادة لله تعالى و التحاكم إلى شرعه هو السبيل الأمثل و الأوحد لتوحيد كلّ البشر .

أمّا أنّ الإسلام هو رحمة للبشرية فقوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾ [الأنبياء: ١٠٨- ١٠٧].

و أمّا أنّ أعظم الحقوق الّتي لابدّ أن تؤدّى لمستحقّها ، قال الله تعالى : ﴿مَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسۡمَآءٗ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾[يوسف: ٣٩ - ٤٠].

فالإسلام جاء ليقرّر أنّ الرابطة الإيمانية ، و الأخوّة الإسلامية تقوم مقام العصبية للجنس و العصبية للوطن ، و العصبية للقوميات ، بل و مقام العصبية للنسب ، لأنّ كلّ هذه العصبيات الجاهلية هي معاول هدم للبشرية ، أمّا الرابطة الإيمانية و الأخوّة الإسلامية و التعصب لهما لهو السبيل الوسط و المنهج الأقوم لإسعاد البشر ، روى البخاري في صحيحه في كتاب المظالم ، من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: ((**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة**)) .

و عنه في كتاب الأداب ، من طريق النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((**ترى المؤمنين (و عند مسلم : مثل المؤمنين) : في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضواً، تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى**)) .

إنّ الإسلام هو الموحّد الواقعي الحقيقيّ لهذه الأمّة ، قال تعالى : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٣].

بيّن الله من خلال هذه الآية أنّ الأساس الوحيد الّذي يُحقق الوحدة بين أفراد و جماعات هذه الأمّة هو الخضوع لشرع الله تعالى ، ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ ، أي بنعمة الإسلام صار أصحاب النبيّ عليه الصّلاة و السّلام إخوانا بعدما كانوا أعداء نتيجة العصبية للقومية و العصبية النسبية ، ذابت كلّ هذه العصبيات لمّا جاءهم الإسلام دين الله تعالى ، و هكذا الشأن لكلّ من أتى بعد زمن الصحابة من الأجيال و الأقوام قال تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٧ - ١٣٨].

فكلّ من أراد توحيد الأمّة على شعارات جوفاء ، أو مناهج خرقاء فعبثا يُحاول إذا كان صادقا في شعار الوحدة ، فكيف بأنّ غالبهم ما رفعوا هذا الشعار إلاّ زيفا و تدليسا كما مرّ بيانه آنفا ، بل إنّ الشعارات الجاهلية القائمة على غير شريعة الله هي المُفرّقة بين أفراد الأمّة بل بين الشعوب ﴿ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾.

و لمّا كان الخلاف بين الأنام هو أمر حتميّ ، لإختلافهم في مداركهم و قُدرات إستعابهم و لإختلاف مشاربهم ، جعل الله الأساس الّذي إليه يعودون عند هذا الإختلاف الّذي يُعتبر أي هذا الأساس صمّام الأمان لهذه الوحدة ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩] ، هذا الردّ للمسائل المُتنازع عليها إلى الكتاب و السنّة لا يقدر عليه إلاّ الّذين ءامنوا بالله العظيم و أنّه هو الحكم و إليه الحُكم ، و ءامن باليوم الآخر و أنّه يوم يرجع المختلفون إلى الله فيه فيُجازيهم على ما كسبوا ، و إنّ من الكبر و الغرور من يردّ المسائل المُتنازع عليها بين أفراد و جماعات

هذه الأمّة إلى غير شريعة ربّها ، قال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾[الشورى: ٢١].

كما أنّ الله سبحانه أمر بالوحدة ، و بيّن أساسها ، و صمّام أمانها ، حذّر من الفرقة و أوضح السُبل المؤدّية إليها، قال تعالى :﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[آل عمران: ١٠٥-١٠٧] ، حذّر الله من خلال هذه الآية عن الفرقة و الإختلاف بعد ظهور الحقّ و سبيل النجاة ، و على هذا رتّب على هذا النوع من الإفتراق عذابا عظيما في الآخرة و ذلاّ و شقاء في الدنيا ، ثمّ أوضح أنّ الملامة تقع على من خالف الشرع ، لا على من تمسّك به و إن كان عنصرا من عناصر الفرقة و ركنا من أركان الإختلاف ، فالّذين خالفوا الشرع و أعرضوا عن التحاكم إليه هم المختلفون حقّا المفرّقون للأمّة لا من تمسّك بما أمر الله تعالى الّذي هو حقا مصدر وحدتها كما مرّ ، و لهذا قسّم الله المختلفين إلى قسمين قسم تسودّ وجوههم و قسم تبيضّ وجوههم ، فليسوا على رتبة واحدة و إن إشتركوا في تسميتهم أنّهم متفرّقون و مختلفون ، فليس من خالف و فرّق على أساس شرع الله و التمسك به ، مع من تفرّق و خالف على أساس قوانين كافرة و أجندات إستغلالية و عصبيات جاهلية .

لم يكتف الله تعالى في التحذير من الفرقة بل بيّن سبحانه الركيزة المُفرّقة للأمّة بل لكلّ البشرية ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [المائدة: ١٤].

فسبب العداوة و البغضاء الحاصلة في صفوفهم هو نسيانهم حظّا ممّا ذُكّروا به ، أي تركهم العمل بشيء يسير ممّا أمرهم الله به ، فكيف إذا تركوا الشرع كلّه و حكّموا قوانين مبنية على أسس جاهلية ؟؟ ، مع العلم أنّ الإعراض عن جزء من الشرع هو الإعراض عن الشرع كلّه ، قال تعالى : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ

﴿بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾[البقرة: ٨٥]، إنّ ترك التحاكم إلى كتاب الله و إلى سنّة رسول الله هو مصدر الأساس للفرقة و الشتات ، فكيف يغفل النّاس ممّن أوتوا علما عن هذا الأصل ثمّ يتحمّسون إلى شعار الوحدة إذا رُفع من جهات مُعطّلة لشرع الله تعالى ، ألا يُدركون أنّ تعطيل الشرع هو مصدر الفرقة ؟ هذا ما أخبر به ربّنا جلّ و علا .

و ما يجب التنبه له ليس كلّ إختلاف في شريعتنا مذموم ، بل الإختلاف المذموم هو ما يُطلق عليه خلاف التضاد أي كلّ خلاف لم يُبن على أسس شرعية معتبرة ، و إلاّ فثمّة أنواع أخرى من الخلاف لا تدخل في قسم المذموم إلاّ في حالة التعصب و الإباء عن التحاكم إلى الشرع .

بعد هذا البيان الّذي يحتاج بدوره إلى تفصيل – أرجو أن أكون ممّن وفّقهم الله لتفصيل هذه المسألة أكثر في كتابي **" وقفة مع حديث إفتراق الأمّة"** يسّر الله طبعه أو نشره– أوجّه ندائي إلى الحركات و الجماعات و الهيئات الإسلامية الّتي ترفع شعار الوحدة بين الأمّة سواء في قطرها أو في إقليمها أن يوضّحوا لغيرهم ممّن توجّه لهم هذه الشعارات : هذه الوحدة المنشودة على أيّ أساس تقوم ؟ هل على أسس شرعية أم على أسس جاهلية ، إذ كلّ ما خالف الشرع فهو جاهليّ لقول الله تعالى : ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾[المائدة: ٥٠] قد يقول قائل على أيّ إسلام تكون على أساسه الوحدة ؟ .

الجواب : الإسلام الّذي أنزله الله على رسوله صلّى الله عليه و سلّم و ترجمه أصحابه إلى واقع عمليّ ، الإسلام على فهم أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و من سلك دربهم و إنتهج نهجهم ، و إقتفى آثارهم ، و هذا ما دلّ عليه ربّنا جلّ و علا ، من ذلك قوله سبحانه : ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾[البقرة: ١٣٧ - ١٣٨] ، و قال تعالى :

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[التوبة: ١٠٠].

روى البخاري في صحيحه في كتاب الشهادات ، عن عبد الله رضي الله عنه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: ((**خير النّاس قرني، ثمّ الّذين يلونهم، ثمّ الّذين يلونهم**)) .

هذا الإسلام الّذي من إبتغى غيره لن يُقبل منه ، و ليس إسلام جهم بن صفون و واصل بن عطاء و الجعد بن درهم و من سلك دربهم فحرّفوا النصوص عن مدلولاتها الشرعية بتقديمهم العقول القاصرة على نصوص ربّانية .

و ليس إسلام المستشرقين و المستغربين ، الّذين أرادوا تفهيم الإسلام على وفق المدرسة الغربية على إختلاف إتّجهاتها لينالوا من المسلمين بعد ذلك ، إذ علموا إنّ عزّة المسلمين في إسلامهم .

و ليس إسلام من أراد إخضاع النصوص الشرعية لسياسات فاسدة بإسم المصلحة حتّى صيّروا هذه المصلحة صنما يُعبد من دون الله ، فميّعوا الشريعة ، و ساهموا في تعطليها ، و سكتوا السكوت السلبي على إنتهاكات الصلبيين و إعتدائهم على أراضينا و أعراضنا و ثرواتنا ، كلّ ذلك بذريعة فقه المآلات و علم المقاصد هكذا يفترون الكذب و هم يعلمون ، خلّطوا بين المصالح الشرعية المرعية و بين الفكر المُنهزم الّذي يحملونه .

الوحدة في الإسلام بين أفراد و جماعات الأمّة أساسه معلوم ليس بمبهم كما هو في شعارات كثير من الأقوام ، أساس الوحدة بين أفراد و جماعات الأمّة هو العودة إلى الإسلام فهما و سلوكا و حكما ، و صمّام أمان هذه الوحدة هو الخضوع لشرع الله تعالى و الإستسلام لأمره و نهيه .

أمّا الشعارات الجوفاء و الإديولوجيات الجاهلية و الأفكار المنحرفة كلّ ذلك يُساهم في فرقة الأمّة و إذلالها .

أبو حفص سفيان الجزائري

01 محرّم 1431 هج

حتى ترجعوا إلى دينكم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، و أشهد أنّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،و اشهد أنّ محمدا عبده ورسوله .

أمّا بعد : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : ((**إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**)) . [رواه أحمد في مسنده ، و أبو داود في سننه من طريق عبد الله بن عمر ، و الحديث صحيح بطرقه].

- قوله : **إذا تبايعتم بالعينة** : العينة هي معاملة يراد من خلالها التحايل على التعامل بالربا ، هي أنّ التاجر يبيع سلعته بثمن إلى أجل ثمّ إشتراها منه بأقلّ من ذلك .

يؤخذ من هذا أنّ حكم الوسائل له حكم المقاصد ، كما فيه تحريم الحيل الّتي تحرّم ما أحلّ الله أو تُحلّ ما حرّم الله .

- قوله : **وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع** . حُمل هذا على الإشتغال بالزرع في زمن يتعيّن فيه الجهاد ، كما جاء في عون المعبود .

قال الشيخ الألباني : (فذكر أنّ تسليط الذلّ ليس هو لمجرّد الزرع و الحرث ، بل لما إقترن به من الإخلاد إليه و الإنشغال به عن الجهاد في سبيل الله ، فهذا هو المراد من الحديث) .

و لأهميّة الجهاد في سبيل الله ، قال الإمام إبن القيّم في كتابه [زاد المعاد] : (و لمّا كثُر المدّعون للمحبّة طولبوا بإقامة البيّنة على صحّة الدعوى فلو يُعطى الناس بدعواهم لإدّعى الخليّ حرفة الشجيّ ، فتنوّع المدّعون في الشهود ، فقيل لا تثبت هذه الدعوى إلاّ ببيّنة ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾[الآية] ،

فتأخّر الخلق كلّهم و ثبت أتباع الرسول في أفعاله و أقواله و هديه و أخلاقه ، فطولبوا بعدالة البيّنة ، و قيل لا تُقبل العدالة إلاّ بتزكية ﴿ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍۚ ﴾ فتأخّر أكثر المدّعين للمحبّة و قام المجاهدون ، فقيل لهم ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقًّا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ﴾ [التوبة])إنتهى.

قال عمر بن الخطاب :(لولا ثلاث لما أحببت البقاء ، لولا أن أُحمل على جياد الخيل في سبيل الله ، و مكابدة الليل ، و مجالسة أقوام ينتقون أطايب الكلام كما يُنتقى أطايب الثمر).

قال إبن القيّم في [المدارج] معلّقا :(يريد رضي الله عنه الجهاد و الصّلاة و العلم النافع ، هذه درجات الفضائل ، و أهلها هم أهل الزلفى و الدّرجات العليا)إنتهى .

- قوله : **وتركتم الجهاد** . أي ترك الجهاد أي المتعيّن على الأمّة ، و المتعيّن فعله كما جاء في كتاب [بلغة السالك لأقرب المسالك على مذهب الإمام مالك]، و كتاب [المنهج] للنووي ، و كتاب [المغني] لإبن قدامة ، و كتاب [المحلّى بالآثار] لإمام إبن حزم ، هي :

✓ . إذا دخل الكفار بلدة المسلمين فيلزم أهلها الدفع بالممكن .

✓ . إذا إلتقى الزحفان و تقاتل الصفان حرُم على من حضر الإنصراف إلاّ بقيود .

✓ . إذا إستنفر الإمام قوما لزمهم النفير .

فالنّوع الأوّل من جهاد المتعيّن هو جهاد الدفع أي دفع العدوّ من أراضي الإسلام ، ومن الأخطاء الشائعة في هذا الزمان القول بأنّ جهاد الدفع يُشترط له الاستئذان و هذا مخالف لما كان عليه سلف الأنام الّذي نزعم إتباع منهجهم ، بل القول بذاك الشرط المزعوم من زيادات أهل الأهواء ، قال أبو العزّ الحنفي في شرحه على العقيدة الطحاوية : (اشتراط وجود الإمام سواء كان إماما عامّا للمسلمين جميعا أو إمام لطائفة منهم من اجل الجهاد في سبيل الله لم يقل به عالم من أهل السنّة و الجماعة قط ، و إنّما هو قول الرافضة الّذين قالوا لا قتال إلاّ بظهور الرضى من آل محمد)إنتهى .

و قال العلاّمة عبد الرحمن آل الشيخ :(بأيّ كتاب أم بأيّ حجّة أنّ الجهاد لا يجب إلاّ مع إمام متّبع ؟ هذا من الفرية في الدّين ، و العدول عن سبيل المؤمنين ، و الأدلّة على بطلان هذا القول أشهر من أن تُذكر ، فكلّ من قام بالجهاد في سبيل الله فقد أطاع الله ، و أدّى ما فرضه الله ، و لا يكون إمام إلاّ بالجهاد ، لا أن يكون جهادا إلاّ بإمام)إنتهى.

وأضاف رحمه الله مستدلاّ بقصّة أبي بصير:(فهل قال له رسول الله أخطأتم في قتال قريش لأنّكم لستم مع إمام؟سبحان الله ما أعظم مضرّة الجهل على أهله عياذا بالله من معارضة الحق بالجهل و الباطل) إنتهى.

نعم قد جاء في بعض الكتب الفقهية السنّية إشتراط الإستئذان لكن قالوا أنّ هذا في جهاد الطلب لا في جهاد الدفع ، و مع هذا إستثنوا حالات يجوز للمرء أن يشارك في جهاد الطلب بدون إستئذان ، قال العلاّمة الرملي في كتابه [نهاية المحتاج م 8] : (يُكره الغزو بغير إذن الإمام أو نائبه ، ولا كراهة في حالات :

- ✓ . إذا فوّت الإستئذان المقصود.
- ✓ . أو عطّل الإمام الغزو.
- ✓ . أو غلب على ظنّه عدم الإذن). إنتهى

هذا في إستئذان ولي الأمر في جهاد الطلب ، و هذا الأمر مفقود لأمرين الأوّل لا جهاد طلب و شريعة الله تعالى معطّلة ، و ثانيا لا يوجد ولاة أمور ، إذ كلمة وليّ الأمر تتكوّن من كلمتين ، الأولى وليّ ، و الثانية الأمر ، أمّا الوليّ هي هنا من راعي تقول وليّ أمرك أي من يرعى أمرك ، و أمّا الأمر " ال " هي للعهد و تعود إلى الإسلام ، فتعني الكلمة راعي الإسلام الساهر على تنفيذ أحكامه و إعلاء رايته، إذا وليّ الأمر من يحكم بأمر الله ، أمّا من حكم غير حكم الله فهو ولي لأمر حكمه فقد يكون حكما شرقيا أو غربيا فهو ولي ذاك الأمر ، بيّن علماؤنا أنّ طاعة ولاة الأمور و هو حقهم على الرعية يكون بعدما يؤدوا حق الله تعالى و هو تحكيم شرعه فالآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ لابدّ أن تُفهم على ضوء الآية قبلها ﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ ﴾.

قلت هذا الإستئذان هو في جهاد الطلب مع مراعاة تلكم الإستثناءات الّتي بيّنها الرملي ، أمّا في جهاد الدفع إسمع ما قاله تعالى : ﴿ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَـٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ التوبة: [٤٤ – ٤٨].

قال الإمام إبن القيّم في كتابه [الفروسية]: (فمن المعلوم أنّ المجاهد قد يقصد دفع العدوّ إذا كان المجاهد مطلوبا و العدوّ طالبا ، و قد يقصد الظفر بالعدوّ إبتداء إذا كان طالبا و العدوّ مطلوبا ، و قد يقصد كلا الأمرين ، فالأقسام الثلاثة يؤمر المؤمن بالجهاد ، و جهاد الدفع أصعب من جهاد الطلب فإنّه يشبه دفع الصائل ، و لهذا أبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه كما قال تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحج: ٣٩] فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب و أعمّ وجوبا ، و لهذا يتعيّن على كلّ أحد ، فيجاهد فيه العبد بإذن سيّده و بدون إذنه ، و الولد بدون إذن والديه ، و الغريم بدون إذن غريمه ، و هذا جهاد المسلمين يوم أحد و الخندق ، و لا يشترط في هذا الجهاد أن يكون العدوّ ضعفي المسلمين فما دون ، فإنّهم كانوا يوم أحد و الخندق أضعاف المسلمين و كان الجهاد واجبا عليهم لأنّه جهاد و ضرورة و دفع لا جهاد و إختيار ، و معلوم أنّ الجهاد الّذي يكون فيه الإنسان مطلوبا لا طالبا أوجب من الجهاد الّذي هو فيه طالبا لا مطلوبا) إنتهى.

و بعضهم يتذرّع بتغيّر الواقع على ترك الجهاد ، فالواقع لا يغيّر أحكام الجهاد الثابتة ، و إنّما فرض الله الجهاد ليغيّر به الواقع، هذه حقيقة الإسلام ، فالإسلام لم يأت ليتأقلم مع الواقع بل أتى ليغيّر الواقع و يردّه إلى الحق ، فالجهاد له مطلبان و هدفان هما :

أوّلا حتّى لا تكون فتنة ، والثاني أن يكون الدّين كلّه لله.

أطلت في هذه المسألة أي مسألة الجهاد في سبيل الله لأنّ الإستدمار و التبشير منذ أمد بعيد يسعى إلى محاربة الإسلام و أحكامه و فرائضه ، و للتأكيد على هذه الحقيقة " أي إرادتهم حرب الإسلام " ففي التاسع عشر من يونيو 1994م في إجتماع اسطنبول الذي شارك فيه أربعون وزيراً للخارجية والدفاع في الدول الغربية وفيهم وزراء حلف شمال الأطلسي الذي يضم كافة الدول الأوربية الشرقية والغربية وكذلك ضم الإجتماع روسيا!! [علماً بأنّ الناتو أنشئ ليكون وسيلة دفاعية ضد ما كان يعرف بالإتحاد السوفيتي وذلك في 4/ أبريل/ 1949م] قد كان محور الإجتماع "يدور حول وضع خطة لمواجهة الخطر القادم بعد زوال الشيوعية، وبعد عشرات الإجتماعات التي عقدت بين الوزراء الأعضاء في الحلف، كُلّف الأمين العام للحلف (ولي كلايسون) رسمياً بإعداد ورقة عمل للحلف عن خطر الأصولية الإسلامية، لكونها تشكل التهديد الأخطر بعد زوال الشيوعية " [مجلة البيان عدد 118: 79].

و من أهم هذه الأحكام و الفرائض الجهاد في سبيل الله و ذلك لأنّهم يدركون طبيعة الجهاد و نتائجه و ثمراته ، فقد سعوا و لازالوا إلى بثّ الظنون الكاذبة تجاهه من أجل الوصول إلى تعطيله ، و الأدهى من ذلك أنّ الإستدمار أوجد رجالا يزعمون أنّهم من المسلمين بل من علماء الإسلام و من هؤلاء أحمد غلام القدياني الّذي نادى بإلغاء الجهاد و الولاء للمستدمر كما في كتابه [ترياق القلوب] قال : (لقد قضيتُ معظم عمري في تأييد الحكومة الإستعمارية و نصرتها ، و قد ألفت في منع الجهاد و وجوب طاعة وليّ الأمر الإستعمار ..و كان هدفي أن يصبح المسلمون مخلصين للإستعمار طائعين له) إنتهى .

- قوله : **سلّط الله عليكم ذُلاّ** : الذلّ هو الصّغار و المسكنة ،و هذا من قبيل الجزاء من جنس العمل. أي أنّهم لّما تركوا الجهاد في سبيل الله الّذي فيه عزّ الإسلام و إظهاره على الدّين كلّه ، عاملهم الله بنقيضه و هو إنزال الذلّة . قاله الشوكاني .

و يتمثّل هذا الذلّ كما جاء في حديث آخر رواه أبو داود من طريق ثوبان أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال : ((**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن**

يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت)) .

- قوله : **لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم** . أي إلى أحكامه و فرائضه و من أهمّها في سياق الحديث هو الجهاد في سبيل الله ، لكن الحديث يعني كذلك العودة إلى الدّين بشموله ، و هذا خطاب للأفراد و للجماعات ، و هو خطاب للحكام و المحكومين كلّ على السواء .

العودة إلى الدّين ، أي إلى كتاب الله و سنّة رسول الله ، و على ما جرى عليه عمل السلف ، العودة إلى الدّين لا تعني العودة إلى أفراد من المسلمين ، فالإسلام أكبر من الهيئات و المجامع و الرابطات والمجالس و الأحزاب و المنظمات ، فإنّه غير محصور في هذه كلّها إذا كانت مجتمعة فكيف وهي متفرقة.

قال شيخ الإسلام في [مجموع الفتاوى م 20] : (و لا يجب على أحد من المسلمين تقليد شخص بعينه من العلماء في كلّ ما يقوله ، و لا يجب على أحد من المسلمين إلتزام مذهب شخص معيّن إلاّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم في كلّ ما يوجبه و يخبر به ، بل كلّ أحد من الناس يؤخذ من قوله و يترك إلاّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم).إه

قال الشاطبي في كتابه [الإعتصام]: (فالحاصل ممّا تقدّم أنّ تحكيم الرّجال من غير إلتفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعا ضلال ، و ما توفيقي إلاّ بالله ، و إنّ الحجّة القاطعة و الحاكم الأعلى هو الشرع لا غيره ، ثمّ نقول إنّ هذا مذهب أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و سلّم من رأى سيرهم و نقل منهم ، و طلع أحوالهم ، علم ذلك علما يقينا).إه

قال الإمام ابن القيم مبيّنا الأسلوب العملي الربّاني في التعامل مع أقوال أهل العلم في كتابه [الإعلام م 2] :(طريق أهل العلم طلب أقوال العلماء و ضبطها و النظر فيها و عرضها على القرآن و السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم و أقوال الخلفاء الرّاشدين فما وافق ذلك منهم قبلوه ، و دانوا الله به ، وقضوا به ، و أفتوا به ، و ما خالف ذلك منها لم يلتفتوا إليه و ردّوه ، و ما لم يتبيّن لهم كان عندهم من مسائل الإجتهاد التي غايتها أن تكون سائغة الإتباع لا واجبة الإتباع ، من غير أن يلزموا بها أحدا ، و لا يقولوا إنّها الحق دون ما خالفها ، هذه طريقة أهل العلم سلفا و خلفا ، و أمّا

هؤلاء الخلف فعكسوا الطريق ، و قلّبوا أوضاع الدّين فزيّفوا كتاب الله و سنّة رسوله و أقوال خلفائه و أصحابه ، فعرضوها على أقوال من قلّدوه)إنتهى .

و ممّا يؤكّد أنّنا لسنا مقيّدين بجهة ما قاله الإمام ابن القيم في كتابه [الإعلام] و هو يفسّر قوله تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ : (فإنّ الله سبحانه أمر بسؤال أهل الذكر ، والذّكر هو القرآن و الحديث الّذي أمر الله نساء نبيّه صلى الله عليه وسلم أن يذكرنه بقوله : ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ ﴾[الأحزاب: ٣٤]. فهذا هو الذكر الّذي أمرنا الله بإتباعه ، و أمر من لا علم عنده أن يسأل أهله ، وهذا هو الواجب على كلّ أحد أن يسأل أهل العلم بالذكر الّذي أنزله الله على رسوله ليخبروه به ، فإذا أخبروه به لم يسعه غير إتّباعه ، و هذا كان شأن أئمة أهل العلم لم يكن لهم مقلد معيّن يتّبعونه في كلّ ما قال ، و لم يكن أحد من أهل العلم قط يسأل عن رأي رجل بعينه و مذهبه فيأخذ به و يخالف ما سواه) .إه

فالمخرج إذا من الذُل الّتي تعيش فيه الأمّة في هذا الزمان من تسليط الأعداء علينا و إجتماعهم على إستباحة بيضة الإسلام ، هو العودة الصادقة إلى ديننا علما وعبادة و سلوكا و حكما و جهادا .

اللّهم منزل الكتاب سريع الحساب و مجري السّحاب و هازم الأحزاب اهزمهم و زلزلهم و أنصرنا عليهم.

هذه كلمة كنتُ قد ألقيتها في محاضرة بمناسبة زفاف أخينا نور الدّين بعنابة

أبو حفص سفيان الجزائري

يوم : 25 جمادى الآخرة 1427 هج .

20 / 07 / 2006 م

يا أمّة غزّة : لا حلّ إلاّ بالجهاد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المشرّع الجهاد في سبيله حيث قال : ﴿ ۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ﴾[النساء: ٧٤ - ٧٥].

و الصّلا ة و السّلام على نبيّه محمد القائل : ((إنتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلاّ إيمان بي و تصديق برسلي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة ، أو أدخله الجنّة ، و لولا أن أشقّ على أمّتي ما قعدت خلف سريّة و لوددت أنّي أقتل في سبيل الله ثمّ أحيا ثمّ أقتل ثمّ أحيا ، ثمّ أقتل)) .

أمّا بعد : تمرّ الأمّة الإسلامية منذ فترة مؤامرة صهيوصليبية بمعية من إستأجرتهم من حكام العرب ، فحاربوا دينها ، و أباحوا أرضها و إنتهكوا عرضها و نهبوا ثرواتها . و ما حرب الصهيونيون على إخواننا في غزّة إلاّ حلقة من سلسلة حلقات من المؤامرات على هذه الأمّة ، و من يحاول معالجة هذه الحلقة بمعزل عن السلسلة فقد أبعد النجعة ، و حاد عن الجادّة . فإنّ ما يحدث في غزّة من تقتيل و تشريد و كيد و مؤامرة و خيانة ، هو ذاته ما وقع و يقع إلى الآن على إخواننا في أفغانستان ضدّ الإمارة الشرعية تحت قيادة أمير مؤمني أفغانستان الشيخ ملا عمر .

في ظلّ هذه الجراح و أخصّ بالذكر جراح غزّة ، أحبّ أن أوجّه أربعة رسائل لعلّ الله ينفع بها :

- **الرّسالة الأولى** : إلى أهل فلسطين عموما و اهل غزّة خصوصا : أسأل الله لكم الثبات ، و رزقكم الله الصبر و الإحتساب ، فالصّابر من صبّره الله ، و أعلموا أنّ النّصر مع الصّبر .

يا أهلنا في غزّة ، قال الله جلّ و علا : ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠ ﴾[آل عمران: ١٦٠] ، في هذه الآية الكريمة يحثّ الله سبحانه بأن نعلّق قلوبنا بالله و ان نتوكّل على الله ، و بيّن حقيقة يجب أن نعقد عليها قلوبنا أنّ الله هو الناصر ، فلا داعي يا أهل غزّة أن تعلّقوا قلوبكم بغير الله سواء مجالس الأممية الّتي ما تأسست و لا إجتمع أعضاؤها إلاّ علينا ، و سواء حكام العرب الّذي بات همّهم إرضاء الغرب ؛ بل علقّوا قلوبكم بالله و على الله فتوكّلوا ، فوالله إن أراد نصركم فلا غالب لكم ، و إن أراد أن يخذلكم فوالله لا ناصر لكم .

يا أهل غزّة ، إنّ نصر الله مرتبط و معلّق بمدى نصرتكم لدين الله ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾[محمد: ٧]، و نصرتكم لدين الله ليس بمجرّد دعوى بل بإمتثال أوامره و إنتهاء عن نواهيه .

يا أهل فلسطين عموما و أهل غزّة خصوصا ، قد مضى على هذه القضية أكثر من ستّين سنة ، فآن الأوان أن تُعالج كما أمر الله ، و أن نضع هذا الملفّ تحت مظلّة القرآن و السنّة ، و أن نخرجه من كواليس المؤتمرات بل هي المؤامرات ، إنّ الله قد أمر في مثل هذه الحال بالجهاد في سبيل الله ، قال الله تعالى : ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ ٣٩ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠ ﴾ **الحج:** [٣٩ - ٤٠] ، قال إمام الحرمين الجويني رحمه الله تعالى : فأمّا إذا وطئ الكفار ديار الإسلام فقد إتفق حملة الشريعة قاطبة على أنّه يتعيّن على المسلمين أن يخفّوا و يطيروا إلى مدافعتهم زرافات و وحدانا ، حتّى إنتهوا إلى أنّ العبيد ينسلّون عن ربقة طاعة السّادة ، و يبادرون الجهاد على الإستبداد . إنتهى.

كما أنّ الله سبحانه قد أوضح الغاية من تشريع الجهاد ، فقال عزّ من قائل : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾[البقرة: ١٩٣] ، فالغاية من الجهاد ه و:

1) حتّى لا تكون فتنة و لا يكون الكفر و لا الشرك و لا التحكيم إلى القوانين الوضعية المعارضة لشريعة ربّ البريّة .

2) و يكون الدّين و الحكم إلى الله .

هذا هو الجهاد في سبيل الله و هكذا ننصر دين الله ، و على هذا نتوكّل على الله ، و بعد هذا نطمع في نصر الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾[محمد: ٧]

- **الرّسالة الثانية** : إلى إخواننا المجاهدين و الإخوة المقاومين أقول سدّد الله رميكم ، فالله الله في جهادكم ، الله الله في الشعارات و الرّايات الّتي تُقاتلون تحتها ، أخلصوا النّية لله ، و إختاروا ما إختاره الله لكم : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ ، هذا هو الشعار و هذه هي الرّاية ، فابتعدوا عن الشعارات القومية و النّعرات الجاهلية و الرّايات الكفرية، و أخلصوا جهادكم لله جلّ و علا .

- **الرسالة الثالثة** : إلى إخواننا في الحركة المقاومة الإسلامية (حماس) عفا الله عنكم و غفر لكم ، و نصركم على عدوّنا و عدوّكم ، إخواني إنّ الله منّ عليكم بأن حكمتم غزّة ، فلا تجعلوها نقمة عليكم يوم تقفون بين يدي مولاكم ، فحكّموا شرع الله على أرض الله غزّة ، فمدينة رسول الله عليه الصّلاة و السّلام يوم الهجرة كانت مساحتها أصغر من مساحة غزّة اليوم ،و مع ذلك حكّم رسول الله عليه الصّلاة و السّلام على هذه البقعة الصغيرة بما أمر الله تعالى .

يا إخواننا إمتناعكم عن تحكيم شرع الله لم يمنع الأعداء أن يتكالبوا عليكم و يتآمروا عليكم ، فالله الله في دينكم ، الله الله في شريعة ربّكم ، قال سبحانه : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾[البقرة: ٢١٧] ، ثمّ أحثّكم أن تقرؤوا ما كتبه لكم

فضيلة الشيخ أبو محمد المقدسي تحت عنوان: **"حماس صحّحوا الأساس واخشوا الله لا تخشوا الناس"**.

كما أحثكم أن تقرؤوا لمنتقديكم و النّاصحين لكم على غير وجه الإسعلاء ، فوالله ما إنتقدكم منتقد إلاّ حبّا لكم ، و حبّا في إيصال الخير لكم .

- **الرسالة الرابعة** : إلى كلّ الفلسطنيين ، و المجاهدين و إخواننا في حماس هيّؤوا الظروف لإستقبال المهاجرين ، فآن الأوان أن تفتحوا بيوتكم و قبل ذلك قلوبكم لإستقبال المهاجرين ، فالكثير منهم ليست الحدود هي الحائلة بينهم و بينكم ، بل لأنّهم لم يلتمسوا حرصكم و حبّكم في إستقبالهم ، فهم الآن ينتظرون الإشارة منكم ليكونوا بجانبكم ، فهذه مسؤوليتكم ، و سيوقفكم الله عليها .

اللّهم أنصر إخواننا المجاهدين في كلّ مكان ، اللّهم انصرهم في فلسطين ، اللّهم أنصرهم في غزّة ، اللّهم أنصرهم في العراق ، اللّهم أنصرهم في أفغانستان ، اللّهم انصرهم في الشيشان ، اللّهم انصرهم في الصّومال ، اللّهم أنصرهم في كلّ مكان ، يا ربّ العالمين .

اللّهم تقبّل شهداءهم ، اللّهم داو جراحهم ، اللّهم سدّد رميهم ، اللّهم وحّد صفّهم ، اللّهم صوّب آراءهم ، اللّهم مكّن لهم .

اللّهم أخذل أعداءك ، اللّهم أهزمهم ، اللّهم زلزل الأرض من تحت أقدامهم ، اللّهم شتّت شملهم ، اللّهم أجعل كيدهم في نحورهم .

ءامين ءامين ءامين .

أخوكم أبو حفص سفيان الجزائري

منتصف شهر الله الحرام 1430

فاجعة مسجد ابن تيمية

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾ ﴾ [البروج: ١ - ٢٢] .

إنّ القلب ليحزن ، و إنّ العين لتدمع ، و إنّ على فراقك يا فضيلة الشيخ أبا نور المقدسي لمحزونون ، و لا نقول إلاّ ما يرضي ربّنا : إنّ لله ما أخذ ، و له ما أعطى و كلّ شيء إلى أجل مسمّى ، فيا أمّة التوحيد أصبروا و احستبوا ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] .

ما إن وصلتُ من سفري إلى داري حتّى تلقّيتُ نبأ إستشهاد فضيلة الشيخ أبا نور المقدسي على يد حكومة حماس برئاسة إسماعيل هنية ، أصابني غمّ و همّ ، مع علمي بالكيد الّتي تُمارسه مدرسة الإخوان المسلمين على التيار السلفي عموما و على السلفية الجهادية على وجه الخصوص منذ زمن.

أردتُ معرفة السبب الحقيقي من مقتل الشيخ بعدما سمعتُ تبريرات المُعتدي على اعتدائه و جريمته، فألفيتُها تبريرات ملفقة باطلة، و رغم بطلانها لا ترقى شرعا إلى استباحة دماء المسلمين فضلا إلى استباحة دماء العلماء إذ أحسب أن فضيلة الشيخ أبا نور المقدسي هو واحد من هؤلاء العلماء الربّانيين

الّذين عُرفوا بصدق دعوتهم و صدعهم بالحق.

علمتُ أنّ هذه المجزرة كانت بعد خطبة جمعة ألقاها فضيلته بمسجد شيخ الإسلام إبن تيمية، فما أن أنهيتُ من سماعها إزداد تعجبي من مقتل الشيخ و سائرإخوانه، فقلتُ : أولهذا يُقتل الشيخ ؟

هل أباحت حكومة حماس دم الشيخ و إخوانه و تلامذته على وصاياه الذهبية ، وهي وصايا ذهبية حقا ، وإلاّ فليقلوا لنا أين أخطأ الشيخ في هذه الوصايا ؟

أم أنّ حكومة حماس أباحت دم الشيخ و إخوانه و تلامذته على أنّه أعلن إمارة إسلامية على أكناف بيت المقدس ؟ ، ألم يكن من المفروض أنّ هذه المبادرة تكون من حكومة حماس ؟ ، فأين هو الدليل الشرعي أن يباح دم عالم لأنّه رأى هذا الرأي و إجتهد هذا الإجتهاد ؟ .

أو بعد ذلك نُتهم نحن بأنّنا متشددون و متعصبون لآرائنا و تكفريون ؟ سبحانك ربّي هذا بُهتان عظيم و كما قيل رمتني بدائها ثمّ إنسلّت ، عشرات الفتاوى صدرت من بعض المشايخ أقلّ ما يُقال فيها أنّها شاذة ، بل فيها مناصرة للكفار على أهل الجهاد ، و مع ذلك لم يُبح أحد من مشايخ التوحيد دم هؤلاء أصحاب الفتاوى الشاذة ، لكن في المقابل أنظروا تصرّف أصحاب الشعار الّذي يقول : نتعاون فيما إتفقنا عليه ، و يعذر بعضنا بعضا فيما إختلفنا فيه .

قال الشيخ في خطبته و هو يحكي رؤية رآها في منامه أنّ إسماعيل هنية أتى إليه في مسجد إبن تيمية ، و ليس الشيخ هو الّذي ذهب إليه .

أقول : فكان تأويلها المجزرة الحاصلة ، إذ ذهب إسماعيل هنية بجنوده إلى مسجد إبن تيمية ليبدأ القتال مع أهل التوحيد ، و ليس أهل التوحيد هم أصحاب المبادرة في القتال ، و هذا ما أكّد عليه فضيلته في خطبته الأولى أنّ أنصار جند الله لن يُبادروا حكومة حماس للقتال .

إنّ ما حصل في رفح لم يكن بدعا من الأمر من مدرسة الإخوان المسلمين ، بل هذه الفاجعة فاجعة رفح أرجعتني إلى الوراء فذكرتني بفاجعة كونر حيث قُتل فضيلة الشيخ جميل الرحمن على يد من كان محسوبا على التيار الإخواني يومها ، و بين فاجعة كونر و فاجعة رفح فواجع أخرى على يد مدرسة الإخوان المسلمين .

سأل الشيخ الألباني في شبابه الشيخ حامد الفقي لمّا إلتقاه أوّل مرّة عن الإخوان المسلمين ، فكان جواب الشيخ حامد الفقي أنّه قال : بل هم خُوّان المسلمين ، لا الإخوان المسلمين، و صدق رحمه الله إذ الأحداث تؤكّد بأنّهم خُوّان للمسلمين و ليسوا بإخوان للمسلمين ، و حسبنا الله و نعم الوكيل .

فإلى مشايخ الإخوان أقول : نريد منكم موقفا فصلا و كلاما صريحا بعيدا عن التنميق و التقعر و الإلتواء عمّا يجنيه أصحابكم سواء في العراق أو أفغانستان أو فلسطين و غيرها من البلدان ، من كيد و مكر و حرب على اهل التوحيد ، فلا أحد منكم بعد اليوم يُعلّمنا دروس في التدرج مع المُخالف بل أنتم الّذي من يلزمه التعلّم منّا ، و لا أحد منكم بعد اليوم يعلّمنا الحكمة في التعامل ، بل انتم من يجب أن يتعلّم منّا ، فهذا وقت الجدّ لا الهزل ، وقت الكلام الصريح لا الكلام الوعظي البعيد عن الواقع، هذا النداء هو لمشايخ الإخوان ولا داعي لذكر الأسماء فهم معروفون .

و إلى إخواننا داخل فلسطين عموما و في غزة خصوصا ، توحّدوا تحت راية واحدة ، و قيادة موحّدة ، فالماكرون إستغلوا تفرّقكم ، فقد قتلوا أخونا معتز دغمش ، و إعتقلوا أخونا أبو حفص المقدسي ، و اليوم قتلوا فضيلة الشيخ أبا نور المقدسي ، فهذه الضربات تستدعي منكم إخواننا وقفة تراجعون فيها أسلوب عملكم ، و اقضوا حوائجكم في السرّ و الكتمان ، نعم جاء دور العمل السرّي و هذا ما وصّى به الشيخ أبو نور في خطبته ، حيث أشار رحمه الله أنّه إذا إقتحمت حكومة حماس مسجد إبن تيمية تلجأ الحركة إلى العمل السرّي .

و إلى مشايخ التوحيد و الجهاد أن يُرشدوا إخوانهم في طريقة التعامل مع هذه الحكومة المنحرفة المبتدعة المحاربة عبر دراسات أو فتاوى ، فهذه نازلة من نوازل الجهاد المعاصر ، فعلى مشايخ الحق البحث فيها عاجلا .

و في الختام أقول مؤكّدا أنّ مجزرة رفح علامة على قُرب العمل الجاد داخل فلسطين ، فالجدّ الجدّ .

سبحانك اللهم و بحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت أستغفرك و أتوب إليك .

أبو حفص سفيان الجزائري

26 شعبان 1430 الموافق ل 17 / 08 / 2009